

حَتَّى يَأْخُذَ فِي التَّضْجِ وَيُرَى فِيهِ السَّوَادُ . فيقال : قد ارقَّ للابيض اذا رقَّ
 حبه واخذ فيه التَّضْجِ وللأسود : قد تشكَّل (١) بسواد اذا ما اسودَّ بعضه .
 (قال وأول ما يخرج من العنب نسيه ثمراً . وقد نبع العنب . اذا ادرك
 ويُقال قد آتبع ايضاً * والذي يتأق به العنب بالشجري يسمى الاساريع .
 واساريع العنب شكر تخرج في اصل الحبة وربما أكلت رطبة حامضة
 والواحدة أسروع * وقشر الحبة يسمى القرف (٢) والحبة اذا نبتت كانت
 صغيرة قية وجاءت (ص ٢٧٩) عيدانها جمدة من العطش او غيره قيل
 انها خذلة * وربما كان العنب جابذاً وقد جبدَ يَجْبِدُ اذا كان صغيراً مشققاً
 وقف ورقة * وتقول انه لحيل وربما حول العنب اذا ما اثر في عام واحال
 في الآخر * وعنب معوم اذا ما حمل عاماً وقلَّ حمله عاماً * والعنب يُقَطَّعُ
 كل عام شيء من اعاليه فنسميه الخطاب وقد أَسْتَخَطَبَ عَنَبَكُمْ (٣) واذا
 قَطَمُوهُ قيل حطبوهُ (التمة لعدد قادم)

مدة حياة الانسان

خطاب للدكتور حبيب افندي درعوي القاه في غرفة القراءة

ايها السادة

أنتي عملاً بقولهم « الامثال خير من الادب » تروني قائماً بما تُدبت اليه من شرف
 التكلم في ناديكم الكريم . وجئتُ بضاعتي اعرضها عليكم على غنائمها علها تنال
 رعاية وقبولاً

(١) قال في المكم شكَّل العنب وتشكَّل اسودَّ وأخذ في التَّضْجِ

(٢) واحدة قرنة وجمه قروف . والقرف يلاء الشجر

(٣) اي احتاج ان يُقَطَّع شيء من أعاليه

وقد فُكِّرت في انتقاء موضوع يكون له من الاعمى العالمية ما هو حريء بالبحث في مجلس ضم نخبة العلم والادب ومن الفائدة العامة ما يشفع في معاكم ورضاكم فبعد الاجتهاد في استيفاء هذه الشروط يخال لي اني وجدت ضالتي في مغزى هذه الحكاية

١

يحكى ان شيخاً خطأً با كان يحطّب ذات يوم في احد الاحراج فاذا به خطر على باله ضحك عيشه وذلة حاله وتذكر المشتات التي قاساها في زمانه فعظم عليه الامر وسهم الحياة وثقلت عليه وطأة اكدارها. فبعد ان حمل حطبه وسار في طريقه مناجياً نفسه بما ناله في عمره من مرارة الحياة وحزاناتها اتكأ على صفة يستريح. ثم أن وتحرر والتحرر من طبعه يحترق الاشجان. فثارت في فؤاده عاصفة الاحزان. واسودت الحياة في عينه لأنها لم تذكّه من لذتها طعماً. فصرخ بصوت فيه رنة الغم. وأنة القنوط: الي يا موت يا موت اين انت. قيل فحضره ملاك اوت منادياً: يا شيخ ليك هاء نذا بين يديك. اما الشيخ وقد رأى ان في الامر جدّاً فحاسبه الجرع واخذهُ الحرص على حياته فأجاب ملاك اوت متجلجلاً واجباً: انا دعوتك لتساعدني على النهوض بمحملي لا لتأخذني

ذلك مثل يبين ان حياة الانسان وان كثرت مصائبها وشقت متاعها لا يسأما الانسان ألا تادراً ولا تطيب نفسه بالانتحار ألا اذا اعتراه ضرب من الجنون. ولو أتيح له الخلود في هذه الدنيا ما كرهه ولو لقي فيها الامرين

واذا الشيخ قال أف فاملّم الحياة ولكن الضفّ ملاً

كثير اشتغال البشر في إطالة الحياة وسئوا لذلك قوانين كثيرة قربت من الحقيقة وحقت نتائجها بتقدم العلم وانكشاف مكنونات الطبيعة حتى انه قد ثبت من احصاءات الدول السنوية ان الذين يراعون هذه القوانين تطول حياتهم. ولما كنا نحن عرفنا اشخاصاً خلّقوا جيلاً او خاصروه فضلاً عما نقرأه في جرائد الاخبار من وقت الى آخر عن بعض المعمرين اغتصنا ذلك برهاناً حياً يؤيد بعض خواطر بنديا في مدة حياة الانسان فبين ان الانسان يمكنه ان يعيش عمره الطبيعي وان هذا العمر الطبيعي مدته مئة وعشرون سنة وهو محدود حدّاً طبيعياً وان الانسان اذا استجمع اسباب الوقاية وعمل بموجبها

يكنه ان يعيش خالياً من الامراض . لأن الموت من شأنه طبعاً ان يكون انخلاقاً طبيعياً لا مرضياً رغماً عما زاده في الغالب متافياً لهذه القاعدة . لان الانسان منذ اطرت به شهواته على المنكرات وابتعدت عن يدو المعصيات اخلت اعماله هذه بنظام الطبيعة فاصبح الشاذ قاعدة والقاعدة شذوذاً . على انه لو جرى الانسان على التاموس الطبيعي وجعل قطب حركته الحيوية في دائرة الادبيات والصناعات لطالت حياته حتى تنفذ مؤنة حركتها الطبيعية وهو يقضي اياماً سليمة لا تشوبها الغلل والامراض اللهم اذا استوفى شروط الوقاية وكان جسده خلواً من كل شائبة إدريئة . وغير خاف ما في هذه القضية من الفائدة فانها اذا تقرررت بالحجج وقامت على اعمدة البرهان تتخلص منها الى نتائج عملية بعيدة الرمي في صون الحياة وحفظها من قارعات الحدوث على قدر ما يشر الله لنا في هذا العالم الواسع البديع من الذرائع والوسائط

من سرح الطرف في تاريخ الطب وكيفية نشأته وتقصي اسباب اختراع اصوله الاولى وتحصل من الاطلاع على كتابات ابي الطب ان احسن ما كان يعرفه ابقراط انما تأثيرات التغذية والسكن وانواع الماشية على الجسم الانساني وانه اي بقرط كان قائماً يعلم اعمال الجسم الحيوية أدرك اذ ذاك كيف انه يزود لاغلب الامراض التي ذكرها اسباباً خارجية ويسأل عن توليدها بتأثيرات طرأت على الانسان من جواره مثل البرد والحار وتغير المناخ الخ . هذا واذا وقف على مبادئ الطب الحديث مما توصل اليه العلماء . وعلى الخصوص في العصر هذا من الاكتشافات الفسيولوجية والمرضية . ثم قابل بين معرفة اليوم الطبية ومعرفة ذي قبل فانه يجد ولا بدع يوماً لا يسبر وتقدماً يذهل المتأمل . من ذلك اكتشافات حديثة غاية في الدقة خصة في نتائجها غريبة في بابها بعيدة في مرماتها اخذت اليوم مقاماً خطيراً في بحث الامراض ومنذ شتر باسترد عن ساعد الجلد وجرّد ذكاه للتحري والاستقصاء . لقد اطاق الثقاب عن عالم جديد لا يكاد يحظر على بال احد من قبله ففكرت اسباب الاربنة وكيفيتها وأدركت الامراض العنوية في كنهها وجوهرها

وتبين لناظرنا ان ما وجدوه من الجرائم الدقيقة التي لا تُدرك الا بالنظارات العظيمة وسورها ميكروباً هي اعداء الداء للانسان . اذا وقفت عليه اوقعت في ورطات

العلل والامراض فترتب علينا من ثم ان نضطلع لها سلاحاً ندفعها به ونزدّها على الاعتاب. ومن يوم أنضج امر الميكروب عرفنا نواويس المدى واختبائها واتسع فطاق بحث الوقاية من شرها

ثم اننا اذا عرضنا هنية عن تقلب الميكروب وسيره في ممرجات الجسم وقطنا النظر عن الطواردى المرضية المتسلطة على الاعضاء. ومجتثنا عن السبب الاول في اعتدال الصحة وجدناه غالباً بل دائماً خارجياً كما لاحظ ابقراط. فينتج من ذلك ان الامراض ليست بضرورية للجسم من حيث تركيبه بل انها نتيجة عوامل خارجية بشروع انهما اذا دُفعت تسئى للانسان ان يعيش سليماً سالماً ويصبح موته انحلالاً طبيعياً بتفاد القدرة الحيوية التي أعطىها الجسم الانساني أسوة بكل جسم آلى حيواناً كان او نباتاً وبكيفية محدودة جداً طبيعياً بنسبة معلومة كما سنبين

٣

يكفّن بعضنا بعضاً ويمشي او اخرنا على هام الاولاي

لقد سبق قولنا بان الانسان يضمن بحياته لا يألو جهداً في صونها والذود عنها. تلك خاصة كل حيوان تُعرف بفريرة المحافظة هي التي تستنزّه للدفاع عن حياته والذب عنها من الاخطار ونوازل الأيام فتراه يجعل معظم عزائه وراء هذه الغاية ويشغل كيفما قدر لتطويلها غير ان تلك العزائم كثيراً ما تقصر عن ادراك المراد متقلبة الى الحية والنشل امام حكم ابرمه الله فكان مطاعاً. اما الجنس البشري فقد اهتم في كل اين وان ان يلك هذه العقدة التي عاجلها كل من الشعوب حسب استعدادهم فتوهم المصريون انهم وقفوا على الدفينة باستعمال المعرقات والقينات وسن ابقراط في ذلك عيشة مرتبة وهواء نقياً والاستحمام وترويض الجسم. وقال بلوتارك: عليك ببرودة الرأس وتدفئة الرجلين وتسهيل الباطنة فيكون لك طول الحياة. ثم جاء القرن المتوسط فجمع في غوايته وأتى على هذا الموضوع بترهات صحاح اذ تعلّق بمخافات تصحك اولاد هذا العصر منها مفعولات الكواكب والكيميا والاكسير الى غير ذلك من هذه الاحاديث. ولما ان حام فوق تخيلاتهم طائر الارحام بدا لهم ان اختدعوا فنقل الدم من حيوان الى آخر وأخذوا يطنطنون حول هذه العملية انها تهزم الموت وتحيي الانسان بل انها تغير طباعه وخصائله وقد بلغ اقتناعهم في هذا الوهم الى ان اخذوا يماجون الجبان

بإغارة دم الاسد والآنضوب بدم الحنل واجروا في عزوق الهرم دم الشباب فكان من ذلك ان هُرقت دماء ونُقلت دماء. فبقي الجبان جباناً والغضوب غضوباً والهرم يذو تحت وقر سنه والشيب يعيث فوق ثنائاً جبينه رلو فطنوا الرجودوا في كثرة هذه الوسائل وتصددها لاطالة الحياة احسن دليل على بطلانها

فلم يبقَ لنا والحالة هذه الا ان نقر بضعفنا وان ساء هذا الاقراو لنعلم يقيناً ان الموت مصيرنا والحياة زائلة لا تدرم الا زماناً. ولكن ما هي مدتها يا ترى. تلك المسألة التي ننشدها والسؤال الذي نسعى في الجواب عنه. وبادئة ذي بدء لا بد لنا من حصر المسألة بافرازها عما يدع باباً للالتباس وعليه فلا نبحت هنا عن مدة الحياة التعديلية ولا عن مدتها العادية بل عن مدتها الطبيعية وان سألت ما الفرق بين هذه المدات الثلاث قلنا ان المدة التعديلية هي عبارة عن معدل حياة اهل بلد معين من الطفل الذي لا يرى النور الا ساعة الى الشيخ الذي يتوفي حنلاً من الحياة. وذلك بان تجمع زمن هذه الاعمار وتقسمه على عدد السكان. اما المدة العادية فهي الزمان الذي يعيشه كل من تخلص من اخطار الشبية ونشط من ملجأت الرجولية وتوصل الى الشيخوخة. وكلتا المديتين خارجة عن بحثنا

اما الحياة الطبيعية وهي التي نحن في صدها فهي التي جعلها الاله في النوع الانساني بنسبة تركية الحيواني وجيز لها اعضاء ووظائف تخدنها حتى تنفذ قوتها وتحنّد حركتها. ومدة هذه الحياة كما قلنا مئة وعشرون سنة. فاذا اعتبرنا مثلاً رجلاً خلف له ابراه صعة جيدة وبنية قوية واقترضناه ذا مزاج متوسط بين العصبي والدموي والليقاري يتباد لسن الصحة لا يسرف في استعمال قواه العقلية والمادية ولا يداهمه في سياق عمره آفة او نائبة تعطبه فذلك الرجل يمكنه ان يمتد العمر الطبيعي صابراً على كرر مئة وعشرين سنة او اكثر. نعم ان وجود انسان بتلك الصفات من النواذر المذكورة الا انه ليس من المستحيل ويجدو بنا ان نمتد عمره طبيعياً واليك بيان ما تقدم

٤

قال ارسطاطاليس: لكل شي. بدء ووسط ونهاية. اما بدء الانسان او الشطر الاول من حياته فهو الزمن الذي يأتي به للوجود ويأخذ بالنشر. ويدعى الشبية.

وسطها استمرار الانسان بعد نشوئه في حال القوة والنشاط وهو سن البلوغ او الرجولة . اما الشطر الثالث فهو قته تهر الانسان شيئاً فشيئاً حتى يطارد نهاية عمره ويرف بالشيوخه

وحيث ان كل شيء في الطبيعة يجري بحسب نواميس مقررة وبنقاد لترتيب بديع في الخالوقات كان لا بد من وجود نسبة وانتظام ما بين هذه الشطور الثلاثة للحياة فكل حيوان ينشأ ويبلغ حداً غوره في زمن قصير يكون عمره قصيراً . وتريد هذه الحقيقة وضوحاً اذا نظرنا الى ما يجاورنا من الكائنات فترى فيها مصداق تلك القاعدة . ومثل الحيوان في هذا المعنى مثل البناء ان قصدت ان تجعله عظيماً متيناً صابراً على كرر الايام فأنك تجعل له اساساً عميقاً معززاً بالقوائم والدعائم . فاذا احدثنا اجال الطرف في آثار بلبك فانه لا شك يتأثر لرأى تلك الانقراض العظيمة الشأن وتحديثه البصيرة ان هذا البناء قائم على أسس متادلة عظيمة ومتانة . ثم اذا انشئنا راجعاً فر بالقرى المجاورة ونظر حيطانها المتداعية فانه يتأكد برأى العين ان تلك الحيطان ليست ألا طيناً مدكوكاً لا اساس لها وعلم بلا استجداد انها عن قريب تهدم وتنحل

وان كانت مصنوعات الانسان جرت على هذا النظام فما احرى الطبيعة به وهي الانثوج والمثال فانياً اعتبرنا من الحيوان او النبات وقابلنا بين مدة نموه ومدة حياته نجد نسبة ثابتة بين هاتين المديتين فيكون العمر طويلاً اذا طالّت مدة النور وقصيراً اذا قصرت . مثاله ان الكلب ينشأ في مدة ثلاث سنين ومعظم عمره يكون خمس عشر سنة . اما النمل فلكون نشوئه يستغرق اربعين سنة براه يعيش ما يفيف على المئتي سنة وقس على ذلك كل الحيوانات بل كل الكائنات الحية

واذا ثبت ما تقدم وتقررت النسبة بين مدة النشوء ومدة العمر بقي علينا ان نبحت كم تدوم مدة النشوء في كل جنس حيواني حتى اذا عرفناها تحلصنا لمعرفة مدة العمر ومرجعنا في ذلك الى علم التشریح

٥

ان العظام التي من مجموعها يتكون الهيكل الحيواني قبل ان تكون صلبة متينة كما عند البالغ قد تكون في بادئة الامر عند الجنين لدنة مرنة مركبة من مادة تسمى غضروفاً . وفي ذلك الغضروف ثقب ما لها عدد لا يتاوهها وأي العين ألا

بالجهر وفي هذه الثغوب ترشح رويداً مادة كائنة هي التي تقوم العظم وتصلبه وقد يبدأ ذلك الانتشاح في ثلاث نقط من العظم ووسطه وطرفيه لذلك ترى في مدة التعظيم اجزاء تصلبت واخرى لم تزل رخوة غضة . غير انه لا يعم الاسر حتى يتحول الفخروف عظاماً ولم يبق منه الا قرص غضروفي يصل بين طرف العظم ووسطه واذا ما عظم ذلك القرص يقول اهل التشريح : التحم الديافيز الى الايعة او بمباراة عربية . التحم وسط العظم الى طرفيه . واذا تم ذلك تم زمن النشوء ودخل سن البلوغ وما دام هذا القرص في حالته الفخرافية يكون دليلاً على ان البلوغ لم يتم بعد وقد راقب العلماء مثل بوفون وفلورنس اعمار الحيوانات على اختلافها فقررنا بعد الملاحظات المتعددة والابحاث المدققة انه توجد نسبة معلومة بين مدة النشوء ومدة الحياة . فاذا قتشنا على هذه النسبة في ذوات الثدي نجد ان هذه الحيوانات يتم نشؤها في زمن يعادل خمس عمرها اعني بذلك اذا كان معظم عمر الحيوان عشرين سنة فيكون قد تم نشوءه في السنة الرابعة من عمره (اي خمس عمره) وبالعكس المبارة اذا الحيوان اتم نشوءه في مدة اربع سنين فيكون معظم عمره عشرين سنة مثاله :

مدة النشوء	مدل الحياة
٥ سنين	المصان من ٢٥ الى ٣٠ سنة
٨	المار ٤٠
٢	الخروف والكلب ١٥
٥	الغور من ٢٥ الى ٣٠
١	الجل من ٤٠ الى ٥٠
٤٠ سنة	الفيل ٣٠٠
٢ سنين	المر من ١٠ الى ١٥
٧	الاسد من ٢٠ الى ٢٥

الى غير ذلك من الامثلة التي كلها اذا استقصيناها تجري على هذه القاعدة . واستناداً على هذه القاعدة نفسها استنتجنا والنتيجة سندعها بالبرهان ان الانسان بما انه يتم طور نشوءه عادة في الرابعة والعشرين من عمره قد يكون عمره الطبيعي مئة وعشرين سنة (اي خمس مرات اربعة وعشرين) جريباً على التاموس الانف الذكر . وذلك اولاً : لان الانسان من حيث جسده حيوان . واذا صرفنا النظر عن النفس اضحى الانسان والحيوان سيين . اذ لكليهما جم واعضاء لا يفرق بينها سوى شكلها

ومركزها . وكلاهما يُبديان اعمالاً ووظائفَ متشابهةً ، مثل التغذية والحركة والتناسل الخ . ولا كان كذلك كان من البديهيّات ان جسم الانسان يُنشأ مثلاً ينشأ الحيوان وهذا هو الواقع . والحال قد ثبت بالاختبار ان المدة التي بها يتكامل نمو الحيوان تعادل خمس عمره فاذا كذلك الانسان وحيث ان مدة نشوئه تدوم اربع وعشرين سنة فاذا يكون عمره مئة وعشرين سنة

ثانياً : اذا كان يموت الانسان غالباً قبل آتِه ويوزل شخصه قبل زمانه فذلك بسبب الامراض والمآفات وما تلك بئته طبعية كما نؤمن بان هي الا قهراً واعتصافاً . شوشت حركة الحياة وابطلتها قبل ان تأتي على آخرها . على انه لو لم تنهكها العاقل لاستمرت تطوي نهجها المخطوط وتنق من قوتها الحيوية ما يساعدها على قطع مراحل العمر الطبيعي :

والسر يسير مبر الشس م فليس نقر له قدم
قد ان له يسى بها فضح ودجى ضوء ظلم

ثالثاً : نقرأ في الكتاب المقدس ان البشر كانت تعيش تسعمائة سنة وثيقاً . فمن ثم ما عاد يغرب قولنا بان العمر الطبيعي مئة وعشرون سنة . نعم ان كثيرين حاولوا نقض هذا التصريح بمجيج واهنة رد عليها ردّاً شافياً في المشرق (١٥٢ : ٤) حضرة الفيلسوف العلامة المنصور يونس العلم . وازيد على قول سيادته اني اقيس التعليل عن اعمار الآباء . الطولية بنفس القاعدة التي يبتها في هذا البحث باعتبار ان اجسام هؤلاء الآباء الاوائل كانت قوية البنيان حتى انها اقتضت زماناً طويلاً لاقام نشوؤها مئة سنة للذين عاشوا خمسمائة . ومئة وثمانين للذين عاشوا تسعمائة الخ . وهذا تعليل لا ينافي القول بان الله تعالى قد وهبهم هذه الاعمار الطولية حتى يتمكنوا من تكثير النسل في بدء العالم لا بل يدعوه ويعال عنه علمياً لان الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء بحكمة ونظام بديع رجل لكل من مخلوقاته نواميس عجيبه هي مراحي العلم وما قوام العلم سوى باكتشاف هذه النواميس واستخدامها

رابعاً : اعظم برهان يجدر بنا ان نورد في تبيان ما نحن في صددِه انما هو وجود كثيرين من الذين حلّوا المئة من عمرهم وامثلة المئتين كثيرة لو اردنا احصاءها لظال بنا الكلام فنكتفي بان نحيل القراء الى المشرق في الصفحة ١٩٠ من السنة

الجارية حيث ذكر عدد المعمرين الذين اربى سنهم على مئة سنة وهم لا يقاؤون عن ٢١٨ عدداً في هذا العام بلغ عبر الواحد منهم ١٥٠ سنة اسمة يرونو كوتريم من اهل ريو دي جانيرو. وقد عرفت انا ذاتي شيخين جازا المنة من مشها وقد اكل عليها الدهر وشرب. تلك شهادات حية لا سيل الى ردها. بل تصرح بلسان حالها ان الانسان يمر مئة وعشرين سنة نولا اسرافه في مادة حياته

ورب مستقيم. يسألني لماذا عاش بعض المعمرين اكثر من الحد المين بمقتضى القاعدة التي شرحتها. على ذلك اجيب ان هذه الائمة تريد بياناً وتقريراً لقاعدتها لانه ورد في علم التشريح بعض امثلة عن أناس لم يتم نشوهم الا في الثلاثين او اثناسمة والثلاثين من عمرهم فلا بد ان الذين عاشوا مئة واربعين او خمسين سنة كانوا من الذين اتموا نشوهم في الثلاثين من عمرهم وغير خاف ان هذا الشذوذ يؤيد القاعدة العمومية التي اسبنا في بيانها وهي ان تمام النشو يتم عادة في الرابعة والعشرين

ومن قائل : اننا اذا اعتبرنا الجسم من حيث ظواهره وبنية الآلية شابه بعضاً والناس اجمعهم منطورون على مدار واحد. فان كان ذلك كذلك لم لا نعيش زماناً واحداً ولماذا لا نستوي في الاعمار ؟

السبب في ذلك اننا لسنا وحدنا في هذه الدنيا وان حياتنا محصلة اعمال التغذية والنمو وتلك الاعمال تحدث علاقة ضرورية بيننا وبين ما يحاورنا من العناصر والكائنات التي اخصها الميكروبات. فتقوم اذ ذاك سوق حربية. يمتدون عنها بتنازع البقاء. ولا يخفى ان هذا التنازع يؤثر آجلاً او عاجلاً في اعمال التغذية فيعززها على التآدي ويدخل الخلل في حركتها. ثم ان الناس قلما ادرکوا وسائل حفظ الصحة ووقايتها وقلما عملوا بمقتضاها وقرامهم لا يتجنبون اسباب الامراض بل يتسارعون اليها كالباحث عن حفة بظلفه. واليك مثلاً يبين لك الاختلاف في الاعمار : الانسان كالسراج فان كان زيتة جيداً كافيًا والقتيل غير ممتدٍ والهواء ساكناً فانه يضيء ويؤبر ويرشف الزيت على سهل ولم تحب انواراه حتى تفرغ مادتها فيطفأ السراج. اما اذا كان الزيت معكراً والقتيل ممدداً والريح قاصفة فاماً ان يكون ضوء السراج ضعيفاً واماً انه يشعل في مدة قصيرة او ان تطفئه الريح. ذلك مثل الحياة : كل انسان قد أعطي منذ

• ولده من زيت الحياة كميةً تباينه الى حدٍ معلوم . فمنهم من خلف لهم ابراهيم صحةً جيدة وبنية حسنة ومنهم من ورثوا عنهم الامراض والمزال فتكون من ثم قوة الحياة متباينة عن كل فريق . ولما كان الاولاد حرة الآباء . يشابهونهم ببعض المشابهة في صفاتهم الجسدية والادوية واستعداداتهم المرضية كان التناسل احد الاسباب المؤثرة في مدة الحياة . وليس احدٌ الا ويعلم ان عيالا كثيرة عرفت بطول العمر او بقصره . ومن غريب ما حكى من التوارد التاريخية ان الاسقف دومنيك مرَّ في بعض الشوارع سنة ١٥٥٤ فصادف شيخاً عمره احدى وعشرون سنة يسكن على باب بيت . فسأله المطران عن داعي بكائه فاجابه : قد ضربني ابي . فعجب الخبر من هذا الولد الكبير وطلب ان ينظر اياه فأتوا به وكان قوياً وله من العمر مئة وثلاث عشرة سنة فعادته المطران ثم سأله لاي سبب ضرب ابنه . قال : ضربته لانه مرَّ من امام جده ولم يسلم عليه . فزاد المطران اندهاشاً وطلب ان يذهبوا به الى الجذ فاذا به هرم قد برى الزمان عظمه وعمر في المئة والاربعين من سنه .

ثم ان الولد اما ان يعيش في مكانٍ طيب المناخ نقي الهواء واما ان يعيش في المدن الآلهة الفاسدة الهواء فتفسدُ بنيته وتهبَّ عليها عاصفة التمدن فتجفف قواها وتهزلها ثم انه يشبَّ قشِبَ في قلبه نيران الامبال والشهوات وتزيغ به اهواؤه عن منهج الفضيلة ويرتطم في احوال المذات وتلك الاعمال كلها لا بد لها من نواقص فيسترقها الانسان من مادته العصبية فيحصل لها ما يحصل لسراج زيت عكر وفتيلته ممدودة والريح تهب عليه . ثم زد على ذلك مفاعيل الصناعة او الحرقة التي يزاورها ذلك الشاب فتكتشف سبباً جديداً في انهيار جُرف حياته .

ولما كان الانسان قائماً باقتران النفس والجسد كانت الانفعالات النفسانية من اعظم العوامل في نقص الحياة لذلك ترى الغضب يهضم الجسم والحزن ينحطه وسورة المهرم تسقمه . وعلى خلاف ذلك راحة العقل والسكينة فهي تمد في العمر وتزيده كما ترى في الرهبان والبرهدين .

ثم ان الغذاء اذا كان غثاً وغير كافٍ لتعويض دثار الجسم يوقى الخارج على الداخل فتصبح نفقة الاعمال الحيوية من مادة الجسم نفسها فيأخذ في القهقرى ويبيد في زمن قريب الى غير ذلك من الاسباب التي يستغرق تفصيلها زمناً طويلاً وقد وعدنا في

صدر ببحثنا اننا لا تريد طمأ في حاكم فنكتفي بالالاع
وبالنتيجة ان الحياة لها حد طبيعي يختلف في كل جنس حيواني بنسبة مدة نشو
وهي عند الانسان مئة وعشرون سنة كما ينأ. وفي الحتام انمى لكل من الحذور ان
يش عمره الطبيعي او انه على الاقل يسمى لذلك بانتهاج طريق الاديات والصحيات
مذكراً قول من قال :

ما انت الا كزراع عند خضرته بكل شيء من الافات مقصود
فان سالت من الافات اجمعها فانت عند كمال الامر مقصود

مقالع مصر ومعادنها*

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجي الاب بطرس دي فراجيل البوسي

تقسم مصر من حيث سطح ارضها الى ثلاثة اقسام كبيرة معروفة الحدود وهي
مصر العليا وتدعى بوادي النيل والدلتا تتركب من تربة بخرية تدعى الابلية وهو
طين اسود لزج تأتي به مياه النيل من بلاد السودان. ثم شرقاً تعانق الصحراء
المرية وسهولها المرتفعة الممتدة فوق جبال عالية الى بحر القلزم. ثم اخيراً أنجاد صحراء
ليية الفسيحة المتصلة غرباً بأفريقية الوسطى. وبين هاتين السلتين الجبائتين وادي
نهر مصر الكبير تراه محصوراً في اعلاه عند اسوان. ثم ينفرج شيئاً فشيئاً وتبسط بقاعه
الحصبة على ضفتيه ولا يزال الجبلان في تباعد حتى اذا بلغ النيل اسفل مصر تشعب

* راجعنا لكناية هذه المقالة الكتب الآتية : Description de l'Egypte, par les savants de l'Expédition française. Paris, Imprimerie royale. 1818. — Archéologie Egyptienne, par G. Maspero. Paris, Quantin. 1887. — L'Egypte par G. Ebers. traduction de G. Maspero. Paris, Firmin Didot, 1880. — Géographie universelle, par E. Reclus, Tome. 10. Paris, Hachette 1885. — Promenades archéologiques, par G. Boissier. Paris, Hachette 1901 — Revue d'Egypte, Caïre, Imprimerie nationale ; passim. — Bulletins archéologiques et Guides divers. ; passim. — Auteurs anciens cités dans le texte : Œuvres.